المنهج في دراسة التاريخ

اتجاهات ومنهجيات وأهداف جديدة في دراسة التاريخ الحديث

تأليف : جون توش ، ترجمة : د. ميلاد أ. المقرحي

(بنغازي : منشورات جامعة قاريونس ، 1994)

عرض ومراجعة سليمان خطاب سويكر *

قدم د. ميلاد أ . المقرحي عملاً علمياً مهماً ومفيداً إلى المكتبة التاريخية العربية من خلال ترجمته الممتازة لكتاب المنهج في دراسة التاريخ : اتجاهات وأهداف جديدة في دراسة التاريخ تأليف جون توش ***John Tosh*** وقد ظهرت الطبعة الأولى من الكتاب باللغة الإنجليزية في عام **1984** في لندن ونيويورك وهو من منشورات دار ***Longman*** للطباعة والنشر . أما الترجمة وهي الأولى بقدر ما أعلم فقد ظهرت ضمن منشورات جامعة قاريونس لسنة **1994** . ويحتوي هذا الكتاب على **342** صفحة في عشرة فصول كما يحتوي على مقدمة للمؤلف وأخرى للمترجم وخاتمة فضلاً عن ثبت المراجع والمصادر والفصول التي اشتمل عليها الكتاب هي على النحو التالي : استعمالات التاريخ ، المواد الأولية ، استعمال المصادر ، المواضيع الرئيسية : السياسة ، السيرة ، الأفكار ، المواضيع الرئيسية : الاقتصاد ، المجتمع ، العقلية ، الكتابة التاريخية ، حدود المعرفة التاريخية ، التاريخ والنظرية ، التاريخ من خلال الأرقام ، التاريخ من خلال الكلمة المنطوقة .

تناول المؤلف في الفصل الأول البواعث الكثر في كل مكان وزمان ، ويؤكد القول بأن التاريخ هو الذاكرة الجماعية ، ومستودع لتجارب الأمم التي من خلالها ينمي الناس بهويتهم الاجتماعية . كما يناقش المؤلف في هذا الفصل دور المؤرخ في تعليم التاريخ ليس في قاعات المحاضرات فقط بل أيضاً من خلال وسائل الإعلام المختلفة من أجل تحقيق الثقافة التاريخية

---

* ماجستير ، من قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس ، بنغازي 2002 ف .

ونشرها ، وينظر إلى دراسة التاريخ بوصفها رياضة ذهنية تعمق الاتجاهات الفكرية وتصقلها ، ويلاحظ أن وعينا يزداد ويتعمق من خلال دراسة التاريخ ... الخ .

أما الفصل الثاني فقد خصصه المؤلف لمسألة المواد والمصادر الأولية اللازمة لدراسة التاريخ وكتابته ، ويعرض هنا تراكم مصادر المعرفة التاريخية وتنوعها إلى حد صعوبة الإلمام بها كلها .

وفي الفصل الثالث : استعمال المصادر يناقش المؤلف المناهج العلمية بخصوص استعمال المصادر وتقييمها وكيفية ذلك . وفي هذا الصدد يلاحظ أن إدخال المنهجية النقدية للمصادر في الاتجاه السائد في الكتابة التاريخية أو كتابة التاريخ هو بلا شك أهم إنجاز ظهر بين المؤرخين . كما يؤكد أن ما يحمله المؤرخون للمصادر التاريخية ليس المنهجية فقط بل أيضاً موقف العقل والفكر .

ويتناول المؤلف في الفصل الرابع المواضيع التي أحرزت مكاناً بارزاً في الدراسات التاريخية منذ القرن التاسع عشر لاسيما السياسة ، والسيرة ، والأفكار ، ويرى ان تراكم المادة العلمية التاريخية حول هذه الموضوعات عبر الزمن أدى إلى دراسات ناضجة في هذا المجال . ففي القرن العشرين بدأ الاهتمام بدراسة السواد من المجتمعات و لم تعد الدراسة التاريخية مقتصرة على الأفراد وما يسمى بالصفوة السياسية . ويلاحظ أن التاريخ السياسي ، أكثر من أي فرع آخر من فروع التاريخ ، يعتمد على ارتباطه الوثيق بالفروع التاريخية الفكرية الأخرى ، و بحقلي التاريخ الاجتماعي والاقتصادي خاصة .

ومن ثمة يتناول المؤلف في الفصل الخامس مواضيع رئيسية أخرى وهي الاقتصاد ، والمجتمع والعقلية وكيفية نمو الدراسات حول هذه الموضوعات . ويرى أنه من أجل فهم التراكيب الاجتماعية المختلفة في المجتمعات وتداخل العلاقات فيها بعيداً عن وضع الحدود بين فروع المعرفة وللحصول على معرفة ناضجة لابد من دراسة الاقتصاد والمجتمع والعقلية كوحدة واحدة في سبيل الوصول إلى نظرة متكاملة .

وفي **الفصل السادس** يناقش المؤلف مسألة الكتابة التاريخية وشروطها ، ويؤكد ضرورة الأخذ بمنهج التحليل والتفسير إلى جانب السرد التاريخي .

ثم يتناول في **الفصل السابع** حدود المعرفة التاريخية والخلاف بين المؤرخين حول العديد من الموضوعات المتعلقة بالتاريخ من حيث المناهج والأهداف ، ويقول إن طبيعة البحث التاريخي معقدة إلى حد أنه من الصعب تفادي التعددية في التفسير .

وفي الفصل الثامن يتناول المؤلف التاريخ والنظرية حيث يؤكد ضرورة تطبيق النظرية في التاريخ بهدف تأكيد الجانب التفسيري لاسيما أن هناك صعوبة في فهم أبعاد التجربة التاريخية وتداخل علاقاتها . وهذا الفصل يلقي نظرة عامة حول موضوع استعمال النظرية في دراسة التاريخ ويهتم بتوضيح تأثير النظرية الماركسية على كتابة التاريخ وشرحها . وجملة القول أن المؤلف يؤكد أن المؤرخين من دون نظرية ليس في إمكانهم استيعاب التاريخ وفهمه .

وفي الفصل التاسع يتناول المؤلف دراسة التاريخ من خلال الأرقام ويؤكد أنه لابد للمؤرخ من الإحاطة بطرق الإحصاء ومبادئه لاسيما بعد تطور الدراسات الحديثة التي تعتمد على الإحصائيات ، الأمر الذي رتب مسؤولية جديدة لدارس التاريخ ، إذ إنه من دون إحصائيات تكون كثير من مجالات التاريخ أدبيات جميلة خارجة عن نطاق البحث العلمي الدقيق ، وتلك هي إحدى المنهجيات الجديدة في دراسة التاريخ : المنهجية الكمية .

وأخيراً يتناول المؤلف في الفصل العاشر دراسة التاريخ من خلال الكلمة المنطوقة ويؤكد أهمية الروايات الشفهية بوصفها مصدراً من المصادر المتعددة لدراسة التاريخ وكتابته . وفي الوقت ذاته يقول إنه من المهم إخضاع هذا المصدر لمنهج النقد والتحليل لأن المادة الشفهية تشترك مع المصادر المدونة في الكثير من جوانب القوة والضعف . ويختتم المؤلف الكتاب بقوله : إذا كان المجتمع ينظر إلى المؤرخين من أجل "إجابات" في شكل تنبؤات قوية أو تعميمات واضحة ، فليس أمامه إلا خيبة الأمل .

ولا ريب في أن ترجمة كتاب على هذا النحو يحتاج إلى إلمام كبير بفلسفة التاريخ واللغة الإنجليزية بالنظر لما يشتمل عليه من اتجاهات فلسفية رفيعة وأفكار عميقة ، والحق أنه لا غنى للقراء المهتمين ولدارسي التاريخ عن قراءة هذا الكتاب ودراسته لاسيما أن عملية نقله إلى اللغة العربية كانت متميزة وممتازة .

إصدارات جديدة

- عن المركز القـومي للبحـوث والدراسـات العلميـة بطـرابلس ، ليبيا صدر العدد السادس (2001) من مجلة الجديد للعلوم الإنسـانية وهو عدد خاص حول الطفولة . المجلة نصف سنوية تهـتم بنشـر البحوث والدراسة المبتكرة في مجالات السياسة والاقتصاد والقـانون والاجتماع .
- صـدر حـديثاً كتـاب تـاريخ آسـيا الحـديث والمعاصـر ج2 : الهند والباكستان وجنوب شرق آسيا ، تأليف : د. ميلاد أ. المقرحي ومنشورات جامعة قاريونس لسنة 2001 . علماً بأن الجزء الأول قد صدر سنة 1997 ضمن منشورات جامعـة قـاريونس وعنوانـه : تاريخ آسيا الحديث والمعاصر : شرق آسيا : الصـين ، اليابـان ، كوريا .
- عن مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية بطرابلس ، ليبيا صـدر كتـاب : الحركـة العماليـة فـي ليبيـا 1943-1969 تـأليف : المختار الطاهر كرفاع – الطبعة الأولى (2000) .
- وعن مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية أيضـاً صـدر سـنة 2000 كتاب : رحلة إلى الكفرة : تقارير الرحالة الألماني غيرهارد رولفس عن رحلته من طرابلس إلى الكفرة ، دراسة وترجمـة : د. عماد الدين غانم .

- عن جامعة المرج للأقسام بالمرج ، ليبيا صدر العـدد **4** السـنة **4** (**2000**) من مجلة الآداب والعلوم وهي مجلة علمية سنوية مُحكمـة تصدر عن جامعة المرج .
- عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت صدر سنة **2001** كتاب تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني **1700-1918** قراءة جديدة ،

تأليف : د. عـادل منـاع . المؤلـف باحـث ومتخصـص فـي تاريخ فلسطين في العهد العثماني .

- عن الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، **2000**) صدر كتاب : المثقف العربي والعولمة ، تـأليف : د. مصـطفى عبـد الغنـي ، يتناول موقـف المثقـف العربـي فـي عصـر العولمـة تجـاه تغيرات هذه الحقبة من الزمن .
- صدر حديثاً كتاب : نهاية اليوتوبيا : السياسة والثقافـة فـي زمـن اللامبالاة ، تأليف : راسل جاكوبي وترجمة : فاروق عبـد القـادر (سلسلة عـالم المعرفـة ، الكويـت **2001/5**) ، وهـي سلسـلة كتب شهرية يصدرها المجلس الـوطني للثقافـة والفنـون والآداب بالكويت .

Works cited

- Bate, Walter Jackson. Coleridge. New York: The Macmillan Company, 1968.
- Beer, J. B. Coleridge The Visionary. London: Chatto & Windus, 1959.
- Bowe, C. M. The Romantic Imagination. New York: Oxford Up, 1961.
- Brett, R. L. Reason & Imagination: A Study of Form & Meaning in Four Poems. London: Oxford Up, 1960.
- Coleridge, Samuel Taylor. Biographia Literaria, ed. J. Shawcross. London: Oxford Up, 1939.
- McFarland, Thomas. Originality & Imagination. Baltimore: The Johy Hopkins UP, 1985.
- Richards, I. A. Coleridge on Imagination. New York: Norton & Company, 1950.
- Warren, Robert Penn. The Rime of the Ancient Mariner with an essay, Ä Poem of Pure Imagination.“ New York City: Reynal & Hitchcock, 1946.

Then darted to the sun:

Slowly the sound came back again

Now mix'd now one by one. (Part V)

In Part VI the wind that comes finally to the Mariner is a gentle breeze, "Like a meadow-gale of spring." It is the time of abiding grace. He achieves salvation through grace that he receives. We need to remind our selves of the events of grace: the ocean looks up to the moon for gracious care, in the same way the mariner later looks to God for the confirmation of his sighting of his home.

The narrative ends in Part VII when the mariner asks the hermit to shrieve him. He concludes his address to the wedding-guest with a brief sermon about how the man who hopes to pray well must love all creation as closely as he can to the way in which God loves it:

He prayeth best, who loveth best

All things great and small;

For the dear God who loveth us,

He made and loveth all.

The moral of the poem is succinctly expressed by the tone of this stanza. The stanza shows the mariner's full awareness of himself and all creation in nature, and it is a glorificaiton of man, nature, and God. If coleridge creates a vision in "The AM," it is the Mariner's vision-a vision of unity in which man, nature, and God can share the universal love.

That makes the heavens be mute. (Part V).

Nature inspires the mariner with its sounds, and awakens his imagination. Music crated by the wind has a profound association with inspiration or imagination in coleridge's poetry. One is reminded of the music, for example, of the Eolian Harp."

... And now, its strings

Boldlier swept, the long sequacious notes

Over delicious surges sink and rise,

Such a soft floating witchery of sound

As twilight Elfins make...

Where the breeze warbles, and the mute still air

Is music slambering on her instrument.

Beer says that the harmony between sight and sound is "characteristic of the mariner's vision," (163) which is succinctly expressed in "The Eolian Harp":

... The one life within us and abroad, which meets all motion and becomes its soul, A light in sound, a sound-like power in light, rhythm in all thought, and joyance everywhere....

According to beer, this unity of light and sound and the concept of the sun as a source of both harmonies are to seen in "The AM":

Around, around, flew each sweet sound,

The mariner's redemption comes from his act of blessing the "happy living things" around him. The act of blessing is imaginative in its mode, and is a result of love and beauty in his heart.

In Part V, we have the image of rain and wind. In literature water as an image is traditionally associated with life. As the gloss says, "by grace of the holy mother, the ancient mariner is refreshed with rain." He is relieved of suffering by refreshing rain and becomes "a blessed ghost."

The use of wind in the poem is also significant for the imagination. The mariner tells of his hearing "a roaring wind," but strangely enough it does not come and touch him. We can only hear the sound even when there is "the coming wind." In Part V the mariner sees the beauty of the living things; now he hears the beauty of nature. Moreover the sound of nature helps to celebrate the mariner's regenerated sensitivity to nature:

Sometimes a-dropping from the sky
I heard the sky-lark sing;
Sometimes all little birds that are,
How they seemed to fill the sea and air
With their sweet jargoning
And now twas like all instruments
Now like a lonely flute;
And now it is an angle's song

generally admitted, is a sin against nature, symbolically against God, for nature is created in God's image.

The isolation the Mariner feels is agony. In stanzas 15 and 16 Part VII, the word agony is used again for the Mariner's state of isolation. As Warren and other critics interpret it, the poem dramatizes fundamentally Christian salvation story of sin, punishment, and redemption. In this respect the journey through which the Mariner passes can be said to symbolize the archetypal images of human being with original sin. And I think the Mariner has a parallel relationship with Christian in John Bunyan's Pilgrim's Progress who sets out the celestial city to the wicket-gate beneath the shining light in the distance.

After punishment the mariner is the process of redemption. His redemption begins to move with the moon "moving up the sky," and it culminates when his imagination as a result of blessing appreciates nature as beautiful under the moonlight. Imagination is created at a moment when unity between man and nature is established:

O happy living things! No tongue
Their beauty might declare:
A spring of love gushed from my heart,
And I blessed them unaware:
Sure my kind saint took pity on me,
And I blessed them unaware. (Part IV).

وتلك التغيرات التي طرأت على وظيفة الشاعر في المجتمع العربي بين ما كان عليه في الجاهلية وغيره من العصور المتحضرة أو المتمدينة ، والجميل في أسلوب الكاتبة في هذا الفصل أنها تربط بين الظواهر المتشابهة والحركات ذات العلاقة فيما بينها في الأدب العربي بطرق ذكية ومفيدة ؛ مثلما فعلت في الربط بين تطور الحب ومفاهيمه وأثر ذلك في القصيدة العربية منذ عصر بني أمية إلى ما حصل في كتابه الحب العذري وتجاربه في طوق الحمامة لابن حزم ، وما كان في شعر الخمر ابتداء من الوليد بن يزيد حتى عصر أبي نواس وبشار بن برد الذي تذكر الكاتبة أنه أبو الشعراء المحدثين في نظر النقاد العرب .

كما تشير في عجالة إلى أن وظيفة الشاعر تغيرت من شاعر يتغنى بشرف القبيلة ويدافع عنها في العصر الجاهلي إلى شاعر يتغنى بشرف الأمة ويدافع عن الجماعة المتمثلة في الأمة أو الدولة ، تلك الدولة التي يحتاج حكامها إلى مدائح يقولها فيهم شعراء كبار بغض النظر عن علاقة هؤلاء الشعراء بقبيلة الحاكم وارتباطهم به عائلياً من عدمه ، وترى الباحثة أن القصيدة التي نجمت في قصر الأمويين هي القصيدة الأدبية وليست القبلية ، وتمضي في بيان العلاقة بين الأدب والفكر في المشرق ، خصوصاً في بغداد والأدب في الأندلس ، وما حدث من تطور في العصر العباسي الذي عد عصراً ذهبياً للأدب العربي ، وأثره في أدب الأندلس ، وتعرض بشكل خاص إلى ذكر ظهور النثر الفني والأدبي في هذا العصر في المشرق بوجود كتاب كبار وحركات أدبية وفكرية مثل الجاحظ والمعتزلة ، وما كان في تلك الحركات من آثار هلينية أو فارسية ، وتخلص من ذلك إلى الحديث عن ظهور المذهب البديعي لدى الشعراء المحدثين في العصر العباسي ، وما سمي بالمعركة بين القدامى والمحدثين ، وتتحدث عن شعراء التجديد والبديع وغير ذلك من أمثال أبي تمام الذي تراه شاعر التجديد والحوار والاستعارة الجديدة وما عرف بالمذهب الكلامي ، وتنطلق من هذا إلى مقارنة عصر أبي تمام وما جاء به من ظواهر أدبية نقدية بعصر الشاعر الإسباني الحديث غونغرا **Gongora** وأثره في الشعر الإسباني الحديث .

كما تعرج الباحثة على ذكر أحداث الشعوبية في المشرق والمذهب التجديدي الذي حمل لواءه بعض الشعراء الذين هم من أصل غير عربي مثل أبي نواس وبشار حين سخرا من تقاليد شعرية بدوية لا تتناسب مع الحياة المدنية الجديدة ، وانتقلت من ذلك لتعود إلى الأندلس وتربط

الحياة الأدبية هناك بتلك الحركات في المشرق ، فتذكر أن السياسة الثقافية للحكم الأول وعبد الرحمن الثاني ساعدت على انتقال تلك التجارب الأدبية والنزعات التجديدية إلى الأندلس ، وتذهب الكاتبة إلى أن الاستجابة للشعر المحدث في المشرق ظهر صداها في الأندلس في نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع المسيحي ، وبداية القرن الرابع الهجري / العاشر المسيحي وذلك في الموشحات .

وترى الباحثة أنه ليس من المصادفة أن يتم في زمن الأمير عبد الله جمع العرب والمولدين وغيرهم من الأجناس تحت قرطبة ، ويبتدع شاعر يعيش في قصر هذا الأمير ، وهو الشاعر مقدم ابن معافى ، شعر الموشح الذي يحمل في الوقت نفسه المحاولة الفكرية للتوحيد الثقافي بين العربي القح ، وهو أغلب الموشحة ، مع العربي المولد ، وهو العامي ، أو مع الأعجمي ، اللذين يأتيان في الخرجة ، وتلك الازدواجية تحمل سخرية ومزاجاً يشبهان جداً في روحهما بعض أشعار بشار وأبي نواس .

كما لا تنسى الكاتبة أن تذكر نقطة أخرى هامة في تاريخ الأدب العربي ، تلك التي تولدت معها المقامات حين تحول النثر إلى فن كتابي ، إلى متعة في المجالس والمنتديات ، كما أن هذه الفترة صاحبتها أو أعقبتها فترة تحلل الخلافة العباسية التي كانت نعمة على الأدب لأن العواصم الأخرى نافست بغداد وأخذت تحاول أن تظهر عليها في مجالات عديدة منها الأدب ، وكل الإنتاج الأدبي الأندلسي تحقق عملياً عبر هذه الفترة التي تبدأ الآن ، ولكنه يدين أيضاً إلى كل الفترات السابقة أي منذ اللحظة الأولى لدخول العرب شبه جزيرة إيبيريا .

الفصل الثالث : محاولة في تقسيم العصر إلى فترات

في هذا الفصل تصنف الكاتبة الأدباء المراد دراستهم إلى مجموعات رأت تصنيفهم فيها ومن ثم درستهم طبق هذا التصنيف فبدأت بابن شهيد وابن حزم اللذين جعلتهما في تصنيف واحد ، ثم طبقة من ملوك الطوائف الشعراء مثل المعتضد ابن عباد والمظفر ابن الأفطس المعاصرين لابن زيدون وابن عمار ، ثم المعتمد ابن عباد خاتمة هذه الأجيال من الشعراء ، وتذهب إلى أن كل حكام هذا العصر كانوا شعراء ورجال آداب ، يدل على ذلك ما جاء في الذخيرة والقلائد

والحلة السيراء حيث يقتبس فيها مؤلفوها شعراً للأمراء من الأسر التي حكمت السهلة والمرية وبطليوس ومرسية والمدور وشنتمرية الغرب وسرقسطة وإشبيلية ، وكذلك غرناطة التي – وإن اشتكى الشعراء فيها عدم مبالاة حكامها البربر بالشعر – نجد لآخر أمير طائفي فيها وهو عبد الله بن بلكين معرفة بتقاليد الأدب العربي كما يدل على ذلك كتابه التبيان ، وعلى أية حال فإن المؤلفة تضع هذا الفصل في مباحث جاءت تحت العناوين التالية :

1- إرث الخلافة 2- أدباء عصر الفتنة 3- ملوك الطوائف ، العصر الأول 4- عصر المعتمد .

الفصل الرابع : النثر في القرن الخامس هـ / الحادي عشر م

وتبدأ هذا الفصل بالحديث عن مشكلة النثر الأندلسي الرئيسة وهي اتصافه كغيره من النثر العربي منذ القرن الرابع ، بالتأنق المتكلف عندما أصبح النثر السجعي نثراً أدبياً وخضع أغلب الأدباء العرب لوطأة السجع ، لم يستثن من ذلك كتاب مثل ابن حيان الذي لم يستطع أن يتحرر من هذه الطريقة .

وإن بدا أحياناً أن كتاب النثر الأندلسي يحذرون من المبالغة في السجع وطلبه على حساب المعنى كما يفهم من محاولة ابن شهيد الاعتذار عن سجعه أمام صاحب الجاحظ في رسالة التوابع والزوابع ، ترى الكاتبة أن العودة إلى الوراء في هذا العصر – أي التحرر الكامل من السجع – أصبحت صعبة ، خصوصاً بعد تطور الأذواق الأدبية ، كما تستثني الكاتبة من أولئك الكتاب الذين طغى على أسلوبهم السجع كتاب الفقه مثل ابن عبد البر وابن حزم ، وهما وإن كانا كذلك ، أي منتجي فقه وفلسفة فإن أعمالهما لها مقاصد أدبية لم يستعملا فيها السجع .

وتقارن المؤلفة بين أسلوب الجاحظ في نثره وأسلوب عبد الله بن بلكين في كتاب التبيان الذي استعمل فيه طريقة سهلة وبسيطة ، كما تقارن بين مادتي كتاب العقد وكتب بهجة المجالس ، وتجعل السبب في اختفاء كثير من الأعمال النثرية المتكاملة هو أن السجع كان حاضراً دائماً في أذهان من يكتبون لأغراض أدبية أو لبواعث أدبية محضة ، وذلك لصعوبة الالتزام بالسجع دائماً ، ولهذه الصعوبة افتقدت الأعمال الطويلة الأداة التي تربط أجزاءها ،

وتخلص من ذلك إلى القول : إن النوع المتميز والحسن الذي وجد في الأندلس في هذا العصر كان المقامات على طريقة مبدعها بديع الزمان الهمذاني ، وعبر المقامات أو النثر المسجوع ، استطاع الأديب الأندلسي أن يتحدث في كل الأوصاف ، مثل وصف الأزهار والمناظر والأحاسيس مبدعاً بذلك أعمالاً فنية في صور مائية ، أو كأنها صور لا ينقصها الألوان والظلال والتقاسيم ، وكذلك فعل ابن خاقان وابن شهيد ، وهذا الأخير عارض الهمذاني في رسالة التوابع والزوابع ، خصوصاً عندما اقتبس مقاطع أو صوراً من مقامة بديع الزمان "المضيرية" .

الفصل الخامس : الشعر المقطعي [الموشحات والأزجال]

تدرس هنا المؤلفة أصول الشعر الشعبي في الأندلس أي الموشح والزجل ، فتتناول نظريات نشأتهما وأيهما أسبق من الأخر والداعي إلى هذا الفن أو ذاك ، وتقف عند أجزاء الموشحة وتركيبها وأسمائها ووجود الموسيقى العربية فيها وفي الزجل من عدمه ، كما تقف عند نظريات في أصول الشعر الشعبي الأندلسي وتشير في ذلك إلى آراء قديمة مثل آراء ابن بسام وابن سناء الملك وآراء ونظريات حديثة مثل نظرية غرثيا غومث ومنيندث بيدال وترد أصول الأدب الشعبي الأندلسي وإرهاصاته إلى عصر عبد الرحمن الثالث وابن حفصون ، وذلك لما ورد من عبارتين شهيرتين ؛ حيث قال أحد قادة ابن حفصون قاصداً أحد قواد الأمير عبد الرحمن : "ردوا ابن أمو في فمو" فأجاب أحد جنود عبد الرحمن : "والله ما نردها إلا رأس ابن حفصون في كمو [أو حكمو]" ، وهو رأي في أصول الموشح والزجل لم أر من قال به غير هذه المستغربة أو بعضاً ممن سبقها من المستغربين الإسبان .

الفصل السادس : الأغراض الشعرية

درست المؤلفة في هذا الفصل الأغراض الشعرية التي عرفها العصر المدروس فمثلت لـذلك بأبرز الشعراء في كل غرض من هذه الأغراض ، سائقة ترجمات لأبرز عيون الشعر في هذه الأغراض ، وترجمت نصوصاً شعرية لابن الأصيلي في رثاء أبي عبد الله بن إبراهيم الفهري وضربت مثلاً في الرثاء الصادق للحكام من ملوك الطوائف برثاء ابن اللبانة لأسرة المعتمد ابن عباد .

كما أشارت في هذا الفصل إلى ظاهرة رثاء الشعراء الأندلسيين لأموات مضى زمن كثير على موتهم مثل ما قاله أبو جعفر بن جورج في رثاء ابن شهيد عند ما رأى قبره في حدائق الزجالي بقرطبة ، وساقت ترجمة لرثاء هذا الشاعر للوزير الشاعر ابن عمار ، وألمحت إلى ذكر قصيدة ابن عبدون في رثاء بني الأفطس ، وعرضت تراجم لنماذج رثائية أخرى أكثر خصوصية وأوفر صدقاً مثل رثاء المعتمد لابنيه المأمون والراضي ، ورثاء ابن عبد البر لابنيه أيضاً .

وقد لاحظت الباحثة أن شعر رثاء المرأة التي تقع ضمن أفراد أسرة الراثي جاء أغلبه ضمن مقطوعات قصيرة ، كما أن الشعر الذي قيل في نساء من الأسر الحاكمة كان قليلاً في عمومه ، وكان شبيهاً في روحه بأشعار العصر الجاهلي وبعيداً من روح الشعر الذي يرثي الحاشية في القصر ، وتذهب إلى أن هذه الأشعار الرائية للنساء من الأسرة لا تترك شيئاً واضحاً من العلاقة بين الراثي والمرثية ، بل تبدو هذه العلاقة على خجل كما هي عادات العرب وتقاليدهم التي تقتضي أنه من الوقار عدم الإفصاح عن العلاقات بين الرجال والنساء أو تفاصيلها ، وتستثني المؤلفة في زعمها ابن دراج الذي قالت إنه تقريباً الوحيد في هذا القرن الذي يذكر زوجته في أشعاره ، وترد ذلك فيما تزعم إلى أصول ابن دراج البربرية التي لا تجعله يتحرج من ذكر الزوجة أو العلاقة بينه وبين زوجته في شعره ، لأن الحضارة البربرية تتساهل في ذلك .

وتأتي المؤلفة في هذا الفصل على ذكر رثاء المدن ، وتجعل هذا القرن الذي تؤرخ لأدبه بداية لظهور هذا النوع من الشعر ، وتضرب أمثلة لذلك برثاء ابن شهيد لقرطبة وابن العسال لطليطلة ، كما تشير إلى ترجمة إسبانية لقصيدة عربية في رثاء مدينة بلنسية في سقوطها أمام السيد الكمبيدور ، ضاع الأصل لهذه القصيدة ، واحتفظت موسوعة تاريخ إسبانيا العام ***Cronica general de Espana*** بالترجمة الإسبانية .

كما تتناول المؤلفة الحديث عن شعر الوصف في الأندلس وتعده ذا علاقة بالحياة البلاطية ، وتذهب في تجذير أصول الشعر الوصفي إلى العصر الجاهلي ثم العصور الموالية ، وتذكر العلاقة بين شعراء الوصف في الأندلس وشعراء الوصف في المشرق فتذكر ابن الرومي وابن المعتز والصنوبري وأمثالهما وتخرج إلى القول : إن شعراء الأندلس قد برزوا في شعر الوصف والطبيعة على شعراء المشرق ، رادة السبب في ذلك إلى الطبيعة الأندلسية نفسها ، وقد وقفت الباحثة طويلاً عند نماذج كثيرة من شعر الطبيعة في الأندلس محللة ومترجمة النصوص ، كما تقف عند غير شعر الطبيعة من الأغراض الأخرى في الأندلس من خمريات ومجون ، وفخر وحماسة ، ومدح وهجاء ، وزهد وتصوف .

ولا شك في أن المؤلفة قد استفادت في تأليف كتابها من آراء كبار المستشرقين ونظريائهم الدارسين للأدب العربي أمثال بلاشير وجب ونيكل ومونر وزويتلر وألبيرتو لورد وغيرهم من كبار المستعربين الإسبان مثل مينيندث بيدال وغرثيا غومث والفرنسيين من غير من ذكروا سابقاً ، مثل بوفنثال وماسينيون وهنري بيريس وغيرهم ، ومن نافلة القول أنها اعتمدت المصادر العربية ورجعت إلى كثير مما كتبه مؤرخون محدثون للأدب العربي بصفة عامة والأدب الأندلسي بوجه خاص .

ولقد أشارت المؤلفة في صلب كتابها إلى مشكلة تواجه المترجم دائماً ، وهي نقل بعض دقائق اللغة وخصائصها الموسيقية والصوتية ، أو ما يضيفه النص من معان حضارية باللغة نفسها ولا يستطاع تذوقها من خارجها مهما كانت براعة المترجم ، ومهما بلغت إحاطة الناقل بدقائق اللغتين .

والكتاب من الكتب القليلة الشاملة والجامعة التي أرخت للأدب الأندلسي والتي ألفها مستعربون إسبان ، ذلك أن هذه الكتب لا يتعدى مجموعها عد الأصابع كما يقال ، ويرى محرر هذه السطور أن هذا الكتاب جدير بالترجمة والنقل إلى العربية ، ولعل الله يمن بالوقت والصحة والتوفيق للقيام بهذا المشروع مستقبلاً ، إنه واسع الفضل كثير المنن والحمد له أولاً وآخراً .